المحاضرة الثالثة: حضارات العصر الحجري القديم الأوسط

يبدأ العصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب منذ حوالي 250000 ق.ح وينتهي في حدود 20000 ق.ح ومن الناحية الجغرافية تمتد المواقع الموستيرية والعاترية في مجال جغرافي مشترك يضم معظم بلدان شمال إفريقيا وشمال الساحل الإفريقي، وتنتشر المواقع من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى الضفة الغربية لوادي النيل شرقا، ومن شمال النيجر ومالي جنوبا إلى الساحل المتوسطي لبلاد المغرب شمالا، ويوحي هذا الانتشار الواسع بتنوع كبير في أشكال الاستيطان فنجد مواقع ساحلية (تمارة، بيرار، الراس الأبيض، هوافتيح)، مواقع جبلية (تافوغالت، رطايمية، كهف الدببة)، مواقع سهلية (واد جبانة، عين مترشم، عين فريطيسة) ومواقع صحراوية (الأزرق، أدرار بوس، تيوريرين، كبانية).

تمثل المواقع السطحية نسبة معتبرة من مجمل المواقع خاصة في المناطق الاستبسية والصحراوية مع وجود نسبة من المساكن داخل الكهوف التي تنتشر خاصة بالمغرب الأقصى (تمارة، غفاس، تافوغالت، إفري نعمار) والأطلس التلي الجزائري (رطايمية، كهف الدببة).

أولا/ الحضارة الموستيرية

1/ تعريفها: هي إحدى حضارات العصر الحجري القديم الأوسط، وتنسب لموقعها النموذجي موستييي Le Moustier بقرية بالدوردون، وهي قرية تقع في جنوب غربي فرنسا، ظهرت في النصف الأول من الحقبة الجليدية الأخيرة، أي ما بين 250000 سنة و 35000 سنة، حيث أطلق الباحث Gabriel Mortillet سنة 1869 هذه التسمية، وتقوم الموستيرية على صناعة الأدوات المستمدة من الشظايا بتقنية "لوفلواز Technique Levalloisienne"، وهي تميز بالقلة مقارنة بالأشولية، ولم تختفي الصناعة ذات الوجهين، لكن بدأت تخلفها الصناعة الشظوية المتمثلة في رؤوس السهام، المكاشط، المحكات، المسننات، النصال، كما ظهرت بعض الصناعات العظمية.

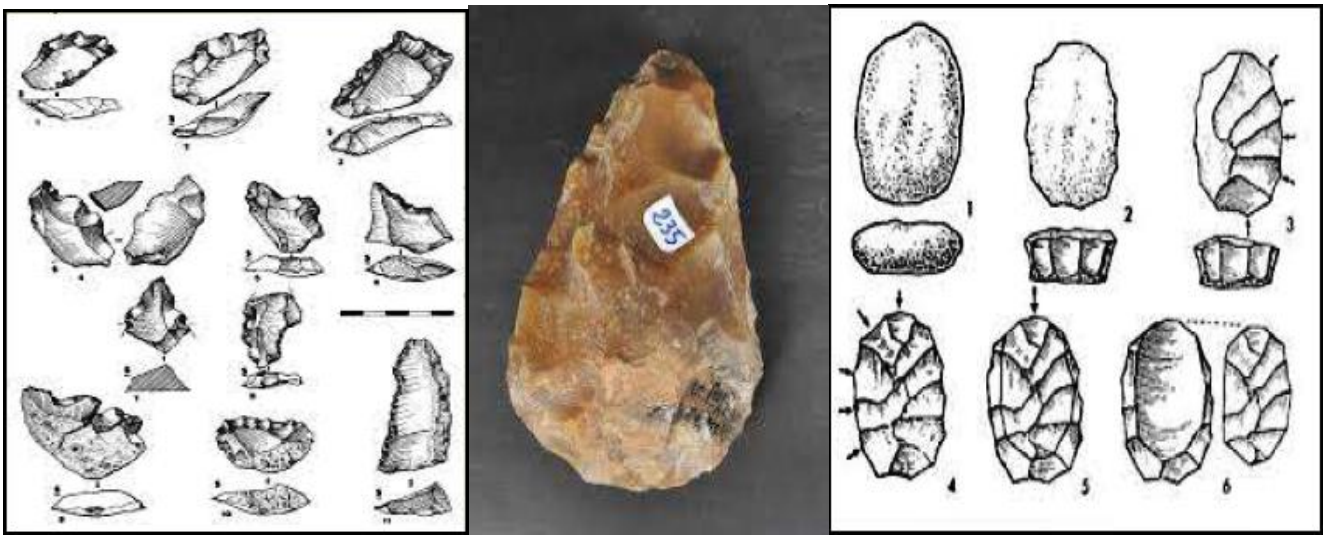

2/ مراحلها: لقد أنتج انسان نياندرتال عدة أشكال من الأدوات الحجرية، وتنوعت تلك الصناعات حسب مراحلها الزمنية، وعلى هذا الأساس صنف العلماء الحضارة الموستيرية إلى أنماط مختلفة تقوم على خصائص ثقافية محضة ومع

اعتماد نموذج كرونولوجي مع توظيف الجانب المرفو-تكنولوجي للصناعة الحجرية والجانب الستراتيغرافي والذي أفضي إلى ما يلي:

- **الموستيري ذو الثقافة الأشولية:** تميزت باستمرار وجود الفؤوس اليدوية خاصة القلبية، وارتفاع نسبة الفؤوس والمحكات والنصال والشفرات، وفي فترة تطورية يلاحظ انخفاض نسبتي الفؤوس والمكاشط.
- **الموستيري النموذجي:** تتميز بندرة أو غياب الفؤوس اليدوية والقطع ذات الظهر مع تغير نسبة المكاشط.
- **الموستيري المسنن:** يتميز هذا الوجه بندرة أو غياب مجمل الأدوات باستثناء المسننات.
- **الموستيري ذو النمط كينا:** حدد هذا النمط لأول مرة في موقع كينا بالجنوب الغربي لفرنسا، وعثر عليه بجانب بقايا انسان نياندرتال، ويتصف بانعدام تقنية التقصيب، وارتفاع المكاشط، غياب الفؤوس اليدوية وقلة المسننات مع ارتفاع المكاشط والمحكات .
- **الموستيري ذو النمط فراسي:** نسبة إلى موقع فراسي جنوب غرب فرنسا، وهو يشبه نمط كينا من حيث المكونات الصناعية، ما عدا نوعية التقصيب "لوفلوا" ويتميز بنسب عالية من المكاشط، وانعدام الفؤوس اليدوية.

3/ **<u>خصائص الحضارة الموستيرية</u>**: تتميز الموستيرية بمجموعة من الخصائص بالرغم من كونها تطور للحضارة الآشولية، إلا أنها شهدت ازدهارا في جميع الأصعدة وبالأخص في الجانب العقائدي الديني.

<u>3-1/ الخصائص الصناعية الموستيرية</u>: - شهدت التقنية اللوفلوازية أوج تطورها وتوسع نطاق استعمالها.

- توسع انتاج الأدوات الحجرية انطلاقا من الشظايا بدل الحصى.
- بداية ظهور التقصيب الشفيري، أي اتجاه الانسان إلى استخراج شظايا متطاولة.
- بداية مرحلة تثبيت الأدوات الحجرية على قطع خشبية بدليل اكتشاف بعض المواد الشبيه بالصمغ على الأدوات الحجرية.
- ظهور الصناعة العظمية الحقيقية.

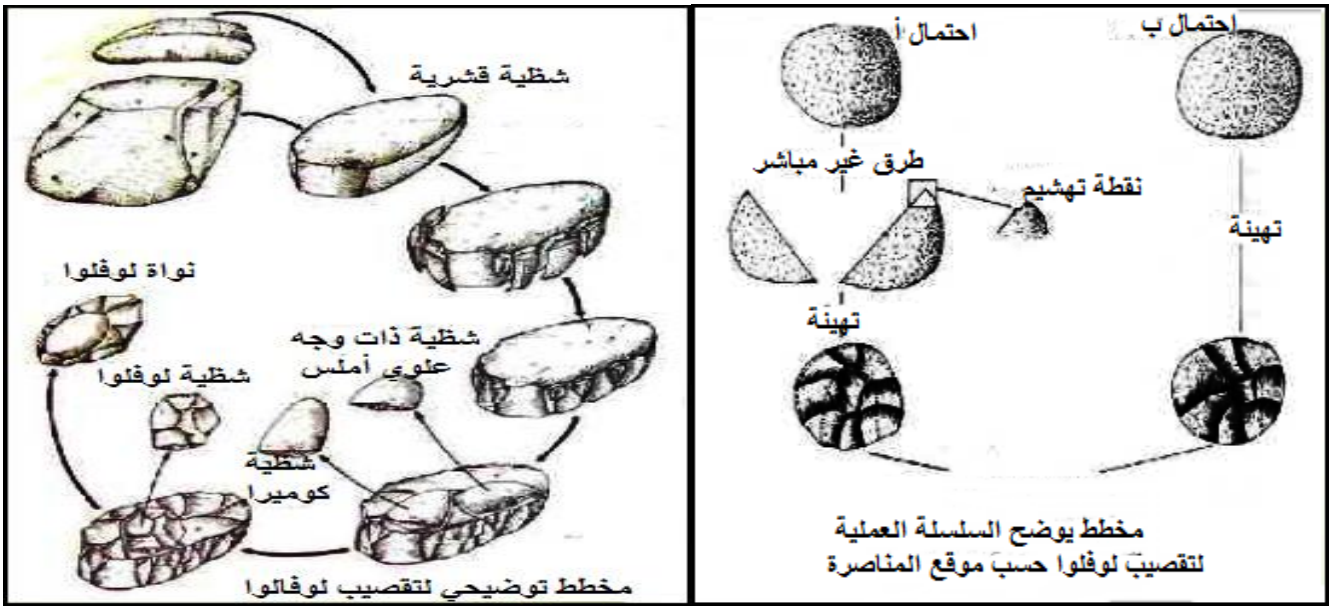

<u>3-2/ نمط المعيشة للحضارة الموستيرية:</u>

لا يختلف نمط المعيشة عند الإنسان الموستيري عن مثيله الأشولي باستثناء بعض الأمور، حيث خلال الحضارة الموستيرية أصبح الإنسان يستطيع العيش في المناطق الأكثر قسوة من الناحية المناخية "الجليديات" بفضل قدرته على التحكم في النار،

وبالتالي استيطان المغارات العميقة والعتمة، مع الحفاظ على بناء المستوطنات على شكل أكواخ مصنوعة من الخشب والجلد الحيواني أو من الجلد وعظام الحيوانات.

3-3/ الجانب العقائدي للموستيرية

مع المرحلة الموستيرية يبدأ أولى الارهاصات المتعلقة بمفهوم الحياة الثانية أو ظهور بعض المعتقدات اتجاه الحيوانات، وظهور مفهوم الدفن، بدليل العثور على العديد من الأدلة التي تثبت ذلك، كبعض المقابر الفردية والجماعية بالرغم من كونها موجودة ضمن المنطقة السكنية.

هذا بالإضافة إلى العثور على بعض الأدلة الدالة على القيام بالطقوس الجنائزية، كما هو الحال عليه في موقع شنيدار بالعراق، حيث عثر على قبر به بقايا عظمية إنسانية إلى جانب بقايا حبوب الطلع الخاصة بالأزهار، ضف إلى ذلك الأدلة التي تظهر بداية بعض المعتقدات بدليل العثور في موقع قافزة Gafeza بفلسطين على قبر به بقايا عظمية إنسانية إلى جانب قرون ظبي.

4/- **انتشارها في شمال إفريقيا**

انتشرت الحضارة الموستيرية في مختلف أنحاء العالم لكن بنسب مختلفة، ومنها منطقة شمال إفريقيا، ومن أهم المواقع التي انتشرت فيها هذه الاخيرة نذكر ما يلي:

- من أهم المواقع التونسية سيدي الزين قرب مدينة الكاف، وعين محروسة بالقيروان، وعين مثرشم بجبل الشعامبي غرب تونس، وسيدي منصور والقطار بقفصة، ووادي العكاريت على الساحل بقابس.
- أما أهم المواقع المغربية فنذكر تافوغالت قرب مدينة وجدة، وكيفان بلغوماري بالقرب من تازة، وجبل إرحود جنوب شرقي سافي والمشهور ببقاياه العظمية البشرية.
- أما في الجزائر فإن مواقعها نادرة جدا وتتمثل في بريزينة في منطقة الأطلس الصحراوي، وتيبازة ورأس تنس والرثايمية قرب الشلف وتقرت، ومن أهم مواقعها في الصحراء نذكر موقع إنيكير في الهوقار، وموقع منيت، تين هيناكتن وموقع تيورينين بالطاسيلي، وموقع آخر قرب متليلي بغرداية.

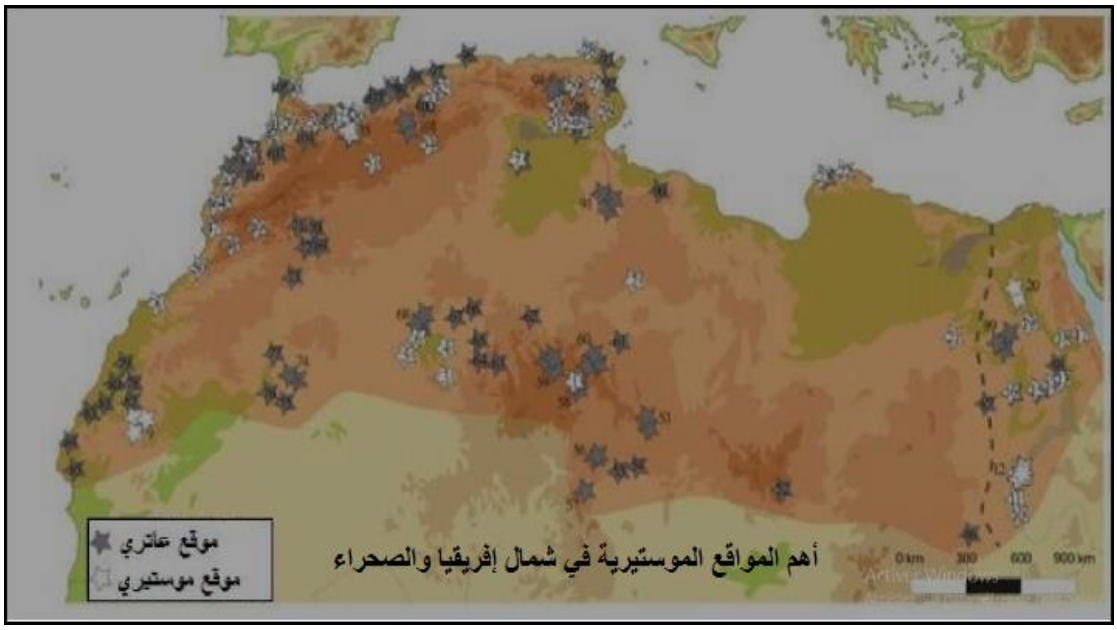

-

2/ الحضارة العاترية:

2-1/ تعريفها:

أ/ التسمية: تُنسب هذه الحضارة لموقعها النموذجي بئر العاتر بالقرب من مدينة تبسة، ويعود الفضل في اكتشافها وتسميتها للأستاذ موريس ريقاس Maurice Reygasse سنة 1922 في مؤتمر مونبلييه، حيث أجرى أبحاثا أثرية في موقع وادي الجبانة قرب بئر العاتر بتبسة، وذلك لتمييز الصناعات المشتملة على أدوات ذات عنق وفصلها بصفة دائمة عن الصناعات الموستيرية دون عنق، ويعتبر مصطلح العاترية الوحيد الذي لقي قبولا من طرف المجتمع العلمي والذي تواصل استعماله إلى اليوم بالنسبة لهذا الوجه الثقافي.

ب/ تعريفها:

اقترح **تيكسي** أول تعريف للصناعة العاترية حيث قال "إن العاترية وجه موستيري ذو تقصيب لوفالوازي، كثيرا ما يكون نصالي مع نسبة كبيرة من الأعقاب المصفحة ونسبة محكات أعلى مما يميز باقي الأوجه الموستيرية. يتألف جزء من الأدوات من قطع تظهر في طرفها الأبعد عنقا مشذبا على وجهيه في أغلب الأحيان"، ويعرفها بالو :" بأنها موستيرية مضاف إليها عنق"، أما مصطفى نامي فيعرفها بقوله أنها " مركب تقني ذو تغيرية جهوية واسعة تقتصر طرق التقصيب فيه على التقصيب اللوفالوزي والتقصيب القرصي والتقصيب النصالي والتقصيب الكيفي، كما يتميز بتركيبة تنميطية متنوعة حسب المواقع تضم المعدات المميزة للباليوليتي الأوسط مع وجود عناصر مرتبطة بالباليوليتي الأعلى نظرا للتمكن من التقصيب النصالي. وتعد ظاهرة تعنيق الأدوات... ظواهر تظهر وتختفي وفقا لظروف نوعية".

2-2/ مراحل الحضارة العاترية: تنقسم الصناعات العاترية بناء على أدواتها وتقنية صنعها إلى ثلاث مراحل، وهي:

أ- **العاترية القديمة:** وتتميز بصناعتها الشبيهة بالصناعة الموستيرية بل تعتبر امتدادا لها، وذات تقصيب لوفالوازي، ويلاحظ أنه في هذه المرحلة قلة الأدوات ذات العنق، وهي تتواجد في المواقع الساحلية والمناطق القريبة منها، ومن أهم المواقع التي عثر فيها على هذه الأدوات نذكر موقع الحنك ودار لسلطان وكهف الخنزيرة بالمغرب، وفي الخروبة وبيرار بالجزائر، والرأس الأبيض والمنستير بتونس.

ب- **العاترية النموذجية:** تتميز بصناعة موستيرية ذات تقصيب لوفالوازي بأعقاب متعددة الأوجه ونسبة من الصناعة تحتوي على عنق "ذنب"، ومن أهم أدواتها المحكات وخاصة منها المشكلة على رؤوس النصال، ومن أهم مواقعها نذكر موقع وادي الجبانة، وكذلك وادي الجوف والشعاع بالشرق الجزائري، واستمر حضورها إلى غاية العصر الحجري الحديث.

ت- **العاترية العليا:** وتتميز أدواتها المهذبة والدقيقة، وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها، وتنتشر في مغارة العالية شمال طنجة وموقع الخنزيرة بالمغرب الأقصى، ومن أهم مواقعها الصحراوية نذكر تيهودين، تين هناكتن، تقرت، جانت، منيت، تاجموت، حاسي الخنق، أسريول، وادي الساورة، كما تواجد في عدة مواقع شمال مالي والنيجر.

3-2/ خصائص الصناعة العاترية:

- إن الصناعة العاترية قائمة على أساس التقصيب اللافلوازي، أي أن الانسان العاتري يعتمد في عملية التقصيب على تقنية لوفالوا، شأنه في ذلك شأن الانسان النياندرتالي "الموستيري".
- تعتبر الصناعة العاترية تطور للصناعة الآشولية، خاصة فيما يخص التقصيب اللافلوازي.

- تتشكل العاترية بما يصطلح عليه العنق، أي في الجزء السميك من الأداة، حيث يتم التقصيب من الجهة البطنية وحده أو من الجهة الظهرية أو من الجهات الأربعة في نفس الوقت.

إن ظهور العنق المشكل على الأدوات العاترية يعد أحد سمات التجديد في نمط المعيشة ونقصد بذلك تأثيرات هذا الاكتشاف على حياة الانسان العاتري والمتمثل في؛ ظهور مفهوم الصيد عن بعد، بدليل وجود الرؤوس العاترية التي تشكل في الجزء الأقرب بعنق، هذا الأخير يساعد على تثبيت الأداة على قطعة خشبية، مما يمكن الانسان من الصيد عن بعد ويتجنب المواجهة عن قرب، والتحكم في الأداة اكثر وتمكنه من مسك القطعة بإحكام.

رأس عاترية

محت عاتري

رأس عاترية ذات العنق من منطقة الجلفة موقع زكار

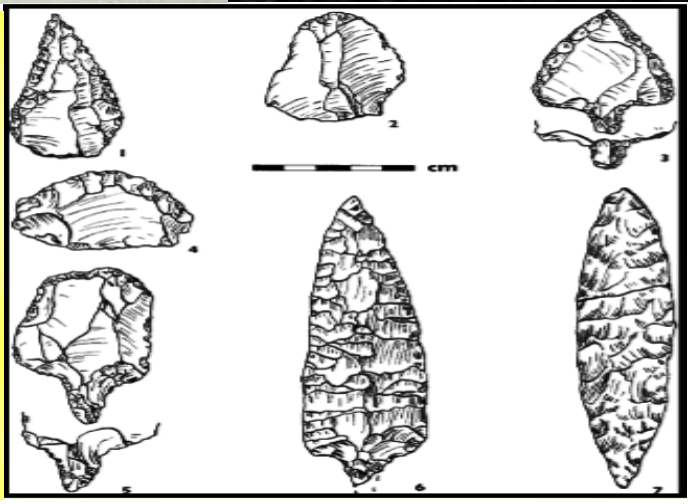

العلاقة بين الموستيرية والعاترية: تعتبر النظرة الكلاسيكية أن العاترية وجه متطور عن الموستيرية ومميزا لشمال إفريقيا، وبالتالي يكون أحدث منه وربما معاصرا جزئيا لبعض الأوجه المتطورة للموستيرية، وقد تم حسبها الانتقال من وجه لآخر عبر تحول الأشكال الموستيرية إلى أشكال عاترية بتشذيب عنق قاعدي وتغير تدريجي للتركيبة التنميطية للصناعة بانخفاض مؤشر المكاشط مع تزايد كل من مجموعة أدوات الباليوليتي الأعلى والمجموعة العاترية. وبالرغم من كون الصناعات بدون أدوات ذات عنق لا تزال تتميز بتواريخ أقدم من الصناعات العاترية فقد أدى تضاؤل الفارق الزمني في التواريخ بين الموستيرية والعاترية إلى بروز آراء جديدة تتبلور أساسا في نظريتين:

النظرية الأولى: تعتبر الموستيرية المغاربية والعاترية وجهين ثقافيين متعاصرين وان كانت بصفة مستقلة عن بعضهما البعض طوال الحجري الأوسط، وبالتالي يكون هذا الأخير في شمال إفريقيا قد عرف مسارين حضاريين متوازيين في نفس الوقت، مسار تحولت فيها الصناعة الموستيرية إلى صناعة عاترية، ومسار بقيت فيها الصناعة الموستيرية دون تجديد تكنولوجي ملحوظ.

النظرية الثانية: تجمع هذه النظرية كلا من الحضارتين في وجه ثقافي واحد يتميز بالتنوع التكنولوجي والتنميطي، وتنتقد هذه النظرية ما يلاحظ من تصنيف الصناعات ضمن الوجه الثقافي العاتري بمجرد وجود أدوات ذات العنق، وبالتالي يعتبر العاترية وجه ثقافي موستيري اكتسب وطور تقنية جديدة للأنصاب تم استعمالها عند الضرورة وليس بصفة دائمة وشاملة. وبما ان كل النظريات لم تستطع الاتفاق وتقديم تفسير شامل وواحد، اقترح البعض استعمال العاترو-موستيرية.

<u>إنسان الحضارة العاترية</u>

تم العثور على بقايا بشرية في العديد من المواقع ببلاد المغرب، إلا أنها تحمل صفات الانسان النياندرتالي كموقع جبل أرحود، مغارة العاليا، تافوغالت بالمغرب، موقع بالقرب من وادي السعيدة بالجزائر، وجل هذه البقايا تحمل صفات الانسان النياندرتالي القريبة من الانسان العاقل، أو ما يمكن أن نسميه "الانسان النياندرتالي العاقل".

كما كشف عن أقدم البقايا بمغارة جبل أرحود والمتمثلة في جمجمتي وجزء من فك سفلي لأفراد بالغين وفك سفلي وعظم العضد لطفل، يتراوح تاريخ هذه البقايا ما بين 160 ألف سنة ق.ح و 106 ألف ق.ح، حيث نسبت هذه البقايا إلى انسان نياندرتال، ثم برهن الباحث هوبلان من خلال الدراسات التي قام بها أن هناك فروقات تنفي هذا الإنتساب، حيث تظهر جمجمتا جبل أرحود جملة من الصفات البدائية شبيهة بصفات الإنسان الأطلسي الموريطاني (الخشونة، كبر البروز فوق الحاجبين، ضخامة الأسنان، وجه عريض ومنخفض)، كما تظهر صفات متطورة تشبه البشريات اللاحقة (غياب البروز، تمايز الذقن، مورفولوجية مميزة للعظم القذالي والجبهي).

كما عثر على بقايا بشرية في دار السلطان تتميز بالضخامة والخشونة مع وجه منخفض وعريض ذو ملامح بارزة، أما أقواس حاجبه بارزة ووجهه أطول، وحافة الأنف والجبهة الواقعة تحت منتصف المحاجر وكذلك فكوك متقاطعة، كما يتميز بشساعة عرض الأنف. وإنسان دار السلطان ذو مواصفات قديمة وأكثر خشونة، وله قياسات عمودية أكبر، وأقواس حواجب أكثر بروزا، ويتقاسم مع الإنسان المشتوي خصوصيات كثيرة. ويشكل إنسان دار السلطان همزة وصل بين إنسان جبل إرحود والإنسان المشتوي، هذا وعثر على بقايا بموقع هوافتيح بليبيا وتعد أقدم البقايا البشرية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأوسط، وهو عبارة عن أجزاء من فكين سفليين لفرد بالغ والآخر مراهق، وتتميز هذه الفكوك بصفات بدائية وأخرى متطورة مثل فكوك جبل أرحود، وقد صنفت ضمن مجموعة أشباه النياندرتال في البداية ثم حولت إلى مجموعة الإنسان العاقل العتيق.